لبنان : شهادة حزن فى زمن الأوجاع

عبد الرحمن على

(١)

منتصف الليل ... ...
... نام صدرى .. على كتف
العالم الصادى
كان الربيع حشرجة
وكان نيد الأيام يختمر
يا قمر
أين وعد الشتاء للربيع ؟
أين زواج الشمس بالقمر !
هل القلب يأتمر
بحشرجات العجز والضجر ؟
أم أنسى قبلتى بين الحنين
للأمس والغد إذا خصر ؟

يا ضجر
لماذا أصبحت تضاجع المدن
والآفاق
والرمال
والإنسان
والتاريخ
والأمل
جعلت غناء الأيام بشر
زفى العُمُر
حين رقص الحب بالعصا
وحين صادر ثورة الجوع
بالعصا

(٢)

بيروت
يا ملح الدنيا
يا حبا
فترت فى دم البشر
لماذا
لماذا يا قمر
... ...
غفوت
تلقفى الشجن
والحنين
والضياء
والأنين
شاهدت ميلاد الأمنيات
حينما كان الحنين وشوشة
ووردة الحب سوسة
وحين كان أمل الأيام ليلكة
حين كان العالم مرادفا :
لأوافق .. و .. نعم ..
الشفة نبضتان
ويزدهر الحب حينما تكون
الشفة نبضتين
كانت القبلة عاصمة للشغف
والقلب رعّاش بالأمل
والقمر
سفر تكوين للبشر
وللنائم غفوتان
غفوة والفجر آمنة
وغفوة والليل أمسية

●

(٣)

ويالَيْلُ
يا قلبًا نَظَر
غيا شهادة حزن فى زمن الأوجاع ،
فى غيبوبة نصف واعية
أرى الحرب والقهر والدمار
الخديعة تلعق أجساد الرجال
إختلطت أجساد الأطفال
والدمار
رعب ، وخوف ، وجوع .. الدمار
وعيون الأطفال تحلقت حول المجهول
المجهول استدار
المجهول استدار
شرنقته صفرة النهار
الأمهات يلتهمن جوع الأطفال
ويختزن صمتهم العميق
الحرب أجهضت طفولة الأطفال
والأمهات مسترسلات فى شرودهن
الأبدى
يحملن هموم (الآتى)
على ظهر قوسته الأيام والتعاسة
ويا رعب قبح الآت الآتى

● ● ●

و ..
يا بيروت .. يا من كنت الميناء
لأحلى تجار الحب
الحب انهار
بين شفة وخد
وبشرة ورد
ولقمة مغموسة بعرق النهار
تسلقت فوق جدار الزمن
... الزمن جدار

● ● ●

الأم تحمل طفلها
لتعتصره
تعيده إليها جنينا
لتقيه رؤية النار وخراب النهار
يا عهد خراب النهار

● ● ●

لبنان .. أين المفر .. ؟ !
أين المفر
●● فى الحب ؟
●● فى الحب ؟
●● فى الإيمان ؟
●● فى ضمير كينونة الإنسان ؟
.. فى السلام
أم فى اكتناه إنسانية الإنسان ؟
و .. وكل شىء ليس بانجان
لابد من مبادلة الليل بالنهار
لابد من مبادلة الليل بالنهار

لبنان
ياحبا
يا طفلاً يرمى خلفنا لنبحث عنه
أو يسقنا فنتبعه
أقف فيك وحدى
وخلفى
لا جدار ؟
لا جدار ! !

●

يا بيروت

فى أى عُرْف
تصبح السياسة نجاسة ؟ !

وكيف يصبح الدين
أنق ما فى تجويف قلب الإنسان
نعاسة ؟ !

مُسْلِمٌ
مسيحى
يهودى
كل فى ميزان الله
أطفال مُسَاسة .

لستُ كبشر في هذا الحب من السذاجة
فالحقيقة لا يرتدي لها الإنسان سروال شحاذة
لا
ولف لا
عفونة راخة الشراء والبيع
ويا حسرة عندما تكون الذبيحة
جسد أمة مستباحة
طاووسية القبض على أقدار البشر
تورد الخد من الذلة
كان سياسة

ولكنْ لا
ليست هذه هوية السياسة

السياسة بحر:
فيه الأعماق
لآلئ الأعماق
مرجان
فيروزي
مخضوضر
فيروزي
وآهٍ من عناق الشمس له
واحتضان القمر لأحضانه... آه
آه
حقا تضل الأحلام فيه
وتتقلب الأصداف في محاره
والصغير فيه
قبلة لسياف الإبادة
لكن البحر
رياح
وإعصار
لآلئ
وأصداف
شعاب
وأعماق
ورمالٌ شطآن
ترشُّ على وجه الماء المسافر
مسحوق الإفاقة

●

والبحر سفينٌ
هل تتوه السفن
هو تتوه السفن
إذا كان الربان
دائبا بين التدريب والمهارة

؟

ويا بيروت
يا من تعانقين البحر
البحر سياسة
والاختيار لك
تريدينه كياسة ؟
شرقًا ؟
أم تعاسة ؟
أم نحاسة ؟
أجيبي
أنا العربي
فلقد تبسّ الصبرُ فيّ
وحاصرته صفرة الاتباسة ●

جنيه واحد

تشترى به
شهادة من
شهادات استثمار

البنك الأهلي المصري

ذات المجموعة ج الجوائز
يحقق لك أملا متجددا
٥ مرات شهريا

للفوز بجائزتها الأولى في كل سحب وقدرها:
١٥٠٠٠ جنيه صافي

والجائزة الثانية وقدرها:
٣٠٠٠ جنيه صافي

بخلاف الجوائز الكثيرة الأخرى من فئات ١٠٠ جنيه ، ٥٠ جنيها ، ٢٥ جنيها

بالإضافة إلى
سحب جديد مميز يجرى كل ٣ شهور

جائزة أولى ضخمة ٢٥٠٠٠ جنيه صافي
جائزة ثانية ضخمة ١٥٠٠٠ جنيه صافي

بخلاف الجوائز الكثيرة الأخرى من فئات
١٠٠٠ جنيه ، ١٠٠ جنيه ، ٥٠ جنيها
يتمتع بهذا السحب المميز مالكو الشهادات التي مضى على شرائها ٣ سنوات على الأقل

الجوائز تدفع نقدًا وبالكامل للفائزين
« غير خاضعة للضرائب »

كثير من الآباء .. والأمهات .. بعد أن انتهى القلق على أبنائهم الدارسين فى الغربة من خلال مانشر فى أكتوبر .. يقدمون الامتنان والتقدير إلى الفريق أول كمال حسن على نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الدفاع السابق الذى تفضل فى التاسع من شهر مارس الماضى بالموافقة على أن يعتبر – مرحليا – كل دارس فى الخارج يوضع تحت الإشراف العلمى كأنه موفد من قبل الدولة وينظر فى تقنين وضعه وتأجيل تجنيده لحين الانتهاء من دراسته .

ويوجهون الشكر والتقدير إلى الفريق أحمد بدوى وزير الدفاع والإنتاج الحربى والقائد العام للقوات المسلحة الذى أكد هذا المعنى فى ١٩ يونيو الماضى بقرار سياسى ثورى حسم تفسيرات الذين حاولوا عرقلة التنفيذ .. حين أضاف للقرار عبارة : بصرف النظر عن شرعية أو عدم شرعية الطريقة التى خرج بها الدارس من مصر للالتحاق بالدراسة .. وبصرف النظر عن تجاوزه سن الثلاثين الآن وفى أول ديسمبر ١٩٨٠ – وهى نهاية الفترة الانتقالية – وبذلك يحكم القضاء نهائيا على المشكلة المعلقة للشباب الدارس بالخارج .. باعتبارها مشكلة لن تتكرر فى ظل قانون التجنيد الجديد .

وبالرغم من أننى سبق أن وجهت الشكر والتقدير للفريق أول كمال حسن على والفريق أحمد بدوى مرتين . فى مقالين سابقين بتاريخ ١٨ مايو الماضى . وتاريخ ٦ يوليو الماضى .. فإننى أكرر تقديم الشكر والعرفان لهما .. ولكن !

سمعت أن بعض العراقيل والعقبات تعترض تنفيذ القرار .. قيل إن البعض فى هيئة التنظيم والإدارة يرى المسألة بعين عسكرية بحتة ! وهم معذورون فى هذه الرؤية .. فهم يعملون فى هيئة عسكرية مهمتها : التنظيم .. والإدارة ! وهذا .. قد الصعب عليهم هضم القرار الذى يتسف ما اعتادوا عليه .. ومن العسير عليهم التحمس لتنفيذه ! وقيل إن التنفيذ متجمد لحين تعيين الرئيس الجديد لهيئة التنظيم والإدارة للقوات المسلحة وبعدها قد يتغير الموقف .. لو أصبحت الرؤية بعين سياسية ؟ !

قمت بزيارة اللواء أركان الحرب محمد نجالى فرحات الذى كان مديرا لسلاح المشاة وتعين أخيرا رئيسا لهيئة التنظيم والإدارة .. زرته للتهنئة .. وتبادل وجهات النظر حول ما يقال عن عوائق تعترض التنفيذ ..

بسماحة وهدوء أهل ريف المنوفية قال الرجل : كل دارس وضع تحت الإشراف العلمى لإدارة البعثات بوزارة التعليم العالى .. سوف يؤجل تجنيده حتى الموعد الذى تراه إدارة البعثات حتى ولو تجاوزت سنة الثلاثين .. يؤجل تجنيده حتى تنتهى دراسته .. وتحصل على الدرجة العلمية .. وبعدها : يعاد النظر !

قلت : ما هو الإجراء الذى تم بالنسبة لإدارة البعثات فى ضوء القرار الأخير الذى أصدره الفريق أحمد بدوى وزير الدفاع ؟

قال : كنا للسيد وكيل وزارة التعليم العالى لشئون البعثات والتمثيل الثقافى بخطره بقرار السيد وزير الدفاع . وقلنا انه نظرا لأن هناك دارسين قد التحقوا بدراساتهم فى الخارج فى ظل إعفاءات مؤقتة وظروف مختلفة دون الرجوع إلى هيئة التنظيم والإدارة للقوات المسلحة . وتم حضورهم للإشراف العلمى للبعثات بعد انتهاء إعفاءاتهم المؤقتة .. أو الظروف التى خرجوا من أجلها ولم يكونوا قد استكملوا دراساتهم بعد .. الأمر الذى يعتبرون معه متخلفين عن التجنيد .. فإنه تنفيذا لقرار السيد وزير الدفاع .. وحتى ينسى هؤلاء الدارسين من أبناء مصر استكمال دراساتهم فى ظل ظروف نفسية أفضل .. فقد تقرر الآتى :

أولا : تأجيل تجنيد كل دارس لم يوفد من الدولة – سجل لدراسة الدكتوراه بالخارج قبل أول يوليو ١٩٨٠ وتقرر وضعه تحت الإشراف العلمى لحين حصوله على الدكتوراه .

اللواء أركان الحرب محمد نجالى فرحات رئيس هيئة التنظيم والإدارة للقوات المسلحة

عبد العزيز صادق

وأخيرًا .. بدأ فعلاً تنفيذ قرار وزير الدفاع

ثانيا : لا يسمح لمن يسجل لدراسة الدكتوراه اعتبارا من أول يوليو ١٩٨٠ ولم يوفد من قبل الدولة بوضعه تحت الإشراف العلمى . وبالتالى لن يؤجل تجنيده ويعتبر متخلفا عن التجنيد

ثالثا : وحتى تنتهى مشاكل جميع الدارسين الصادر بخصوصهم قرار السيد وزير الدفاع نرجو موافاتنا بكشوف حصر جميع هؤلاء الدارسين بالخارج حتى يمكن استصدار قرار بتأجيل تجنيدهم . مع موافاتنا بالحالات التى يتم تجنيدها أولا بأول . وأضاف اللواء نجالى . هناك خطاب مماثل أرسل لوزارة الخارجية لتعميمه على سفاراتنا وقنصلياتنا فى مختلف دول العالم

قلت : هذا كلام جميل . ولكن . سمعت أن هناك معوقات تعترض التنفيذ . ما مدى صحة هذا القول ؟

قال : إدارة البعثات تعرف قرار السيد وزير الدفاع كما ذكرت لك . وهى تتعامل معنا الآن على أساسه . ويوميا أقوم بتوقيع أكثر من قرار بتأجيل تجنيد الدارسين للدكتوراه بالخارج . ومنذ أن توليت منصبى هنا لم تحدث أبدا أية مشكلة بالنسبة للدارسين مادام القرار ينطبق عليهم . ومادامت الشروط المطلوبة متوافرة لديهم .

قلت : يوجد اختلاف واحد فى وجهات النظر بشأن هذه الشروط .. وهذا ما يسبب تعويق تنفيذ القرار لبعض الدارسين !

قال : ما هو هذا الاختلاف ؟

قلت : بالنسبة لكم كهيئة .. وجهة نظركم أن من بين هذه الشروط ألا يكون الدارس قد سجل للدكتوراه بعد سن التاسعة والعشرين . وهذا الشرط لم يرد على الاطلاق فى قرار الوزير ؟

قال : أنت تعلم أن الحد من أصحاب المؤهلات العليا يجند فى القوات المسلحة سنة واحدة . معنى ذلك أن التسجيل للدكتوراه لا يصح أن يكون بعد سن التاسعة والعشرين . قانون التجنيد الجديد يقول إن الثلاثين هى أقصى سن لتجنيد الشاب . فإذا أعدنا تمديداً أن أى شاب تجاوز التاسعة والعشرين يصدق له بتأجيل تجنيده .. فإن هذا – فى رأيى يعتبر تهربا من التجنيد !

قلت : ولكن قرار وزير الدفاع جاء لمعالجة حالات سابقة .. وصدر لكى يحل مشكلة قائمة . لهذا وصفت القرار فى مقال سابق بأنه قرار سياسى لحل مشكلة جماهيرية للدارسين ولأهليهم !

وأضفت قائلا : مما يؤكد قولى هذا .. أن أى قرار يصدر بتوقيعكم بتأجيل تجنيد دارس للدكتوراه تبدأ دياجته كما يلى : بعد الاطلاع على القانون ٥٠٥ لسنة ١٩٥٥ فى شأن الخدمة العسكرية والوطنية والقوانين المعدلة له . وعلى القرار الوزارى رقم (١٢٨) لسنة ١٩٧٤ بشأن تفويض رئيس هيئة التنظيم والإدارة للقوات المسلحة فى إصدار قرارات تأجيل التجنيد لمن توفدهم الدولة فى بعثات دراسية خارج الجمهورية . وعلى كتاب الأمانة العامة لوزارة الدفاع رقم ٦٠٦١ بتاريخ ١٢ / ٣ / ٨٠ بشأن قرار السيد وزير الدفاع والانتاج الحربى والقائد العام للقوات المسلحة بأن يعتبر مرحليا كل دارس فى الخارج يوضع تحت الإشراف العلمى للبعثات وكأنه موفد من قبل الدولة وينظر فى تقنين وضعه وتأجيل تجنيده لحين الإنتهاء من دراسة الدكتوراه .. وعلى ما تقدمت به الإدارة العامة للبعثات .. قرر : تؤجل الخدمة الإلزامية لفلان .. الخ !

معنى ذلك أن القرار يصدر فى الفترة الانتقالية . طبقا لقانون التجنيد القديم .. أى طبقا للحد الأقصى للتجنيد ٣٥ سنة وطبقا لقرار وزير الدفاع السابق .. والذى تفضل وزير الدفاع الحالى بتطويره ليكون أكثر اتساعا حرصا على مستقبل أبنائنا . واسمح لى أن أقدم لك حالة واحد من الدارسين يتعثر قرار تأجيل تجنيده بسبب هذا الاختلاف فى وجهتى النظر التين أشرت إليهما .. ما رأيك ؟

قال : أعطى فرصة ٤٨ ساعة لأدرس الحالة .. وتأكد أننى سأبحث الموضوع بعين العدالة

قلت : أنا واثق تماما من عدالتك .. تحياتى لك حتى نلتقى .

بعد مرور ٢٤ ساعة من هذا اللقاء علمت أن الرجل العادل قد وقع قرار تأجيل التجنيد الذى اختلفت حوله وجهتا النظر ..

معنى ذلك : أن الشرط الوحيد القائم .. هو ألا يكون قد تم التسجيل للدكتوراه بعد يوم ٣٠ يونيو ١٩٨٠ . وبهذا لم تعد هناك عوائق . وهذا أقدم الشكر والتقدير إلى اللواء أركان الحرب محمد نجالى فرحات الذى عالج الموضوع بفكر جديد متفتح .

ولا يفوتنى فى هذه المناسبة أن أنوه مرة أخرى بأبوة الرجل الفاضل د. مصطفى كمال حلمى وزير التعليم الذى تفضل بالموافقة على أن كل دارس سجل للدراسة العليا قبل أول يوليو ٨٠ يوضع فورا تحت الإشراف العلمى على أن تستكمل أوراقه واجراءاته فيما بعد .

وأسجل التحية لكل من : د. سعاد بدير وكيل وزارة التعليم العالى لشئون البعثات والتمثيل الثقافى ، والأستاذ محمود سمير أحمد مدير عام البعثات على سرعة التحرك لوضع القرار موضع التنفيذ . فقد أرسلت خطابات عاجلة لكل مكاتبنا الثقافية فى مختلف دول العالم لحصر حالات الدارسين للماجستير والدكتوراه من غير الموفدين من الدولة .. أى الذين يدرسون على نفقتهم الخاصة .. وإرسال بياناتهم على وجه السرعة للإدارة العامة للبعثات حتى تمكن إصدار قرارات بوضعهم تحت الإشراف العلمى على الفور .. وحتى يمكن استصدار قرارات لهم من هيئة التنظيم والإدارة بتأجيل تجنيدهم .

وهكذا وصل الصراع الصامت إلى نهايته .. و .. أخيرا .. بدأ فعلا تنفيذ قرار وزير الدفاع الذى تتحدث عنه الصحف فى هذه الأيام ! □